**في**

**العيلة المسيحيّة**

وهي

الرسالة التاسعة الّتي يوجّهها

**مار نصر الله بطرس صفير**

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

**إلى**

**أبنائه الموارنة إكليروسًا وعلمانيّين**

**في مناسبة الصوم الكبير**

**1994**

**نصر الله بطرس صفير**

**بنعمة الله**

**بطريرك أنطاكية وسائر المشرق**

**إلى إخواننا المطارنة وجميع أبناء كنيستنا، إكليريكيّين وعلمانيّين،**

**أيّها الإخوة الأجلاّء والأبناء الأعزّاء،**

**السلام والبركة الرسوليّة،**

في الثامن من كانون الأوّل سنة 1989، أعلنت الجمعيّة العموميّة للأمم المتّحدة سنة 1994 "سنة العيلة العالميّة"، وجعلت لها موضوعًا "العيلة: طاقاتها ومسؤوليّاتها في عالمٍ يتغيّر". وفي السادس من حزيران 1993 أحد الثالوث الأقدس، أعلن قداسة البابا بدوره هذه السنة عينها سنة العيلة العالميّة للكنيسة الكاثوليكيّة. وممّا قاله في خطابه في تلك المناسبة: "إنّ الكنيسة تحيي قلبيًّا هذه المبادرة وتشترك فيها بكلّ المحبّة الّتي تكنّها لكلّ عيلة بشريّة". وتابع يقول: "أريد أن أعلن أوّلاً، في هذا اللقاء العالميّ للعيال دعوة خاصّة للشعب المسيحيّ بأجمعه، من عيد العيلة هذه السنة حتّى العيد عينه 1994، سنحتفل أيضًا في الكنيسة الكاثوليكيّة، بسنة العيلة العالميّة".

      وتابع قداسته يقول: "إنّ مجلس العيلة الحبريّ، بما له من علاقة مع الأجهزة الأخرى المختصّة، سيتابع مبادرات الأمم المتّحدة بروح الحوار والتعاون، بإعداد الاحتفالات والنشاطات الّتي ستقوم في داخل الكنيسة الكاثوليكيّة، والعمل على تنسيقها".

      ويشير إلى الهدف من إعلان هذه السنة بقوله: "إنّ سنة العيلة العالميّة ستكون، دونما شكّ، مناسبة أتاحتها العناية الإلهيّة لتعميق القيم الّتي تشكّل هذه المؤسّسة الطبيعيّة. وإنّي لواثق أنّ الاطّلاع على هذه القيم اطّلاعًا أوفى ووضعها في مكانها اللائق بها، سيساعدان على بناء عالم أكثر أخوّة وتضامنًا، عن طريق الاعتراف بالعيلة كخليّة أساسيّة للمجتمع". ويدعو قداسته الجميع إلى انتهاز هذه الفرصة وللإفادة منها لإبراز دور العيلة فيقول: "وإنّي بالتالي أدعو المجالس الأسقفيّة، والمطارنة، والأبرشيّات والرعايا، والحركات والفئات والمجموعات الملتزمة بوجهٍ خاصٍّ يوميًّا بعمل راعويّ تجاه العيلة إلى الإفادة من فترة النعمة هذه، لتقوم بعمل يزداد عمقًا[[1]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn1" \o ").

      لذلك رأينا، في مستهلّ هذا الصوم المبارك وفي إطار المجمع الراعويّ من أجل لبنان الّذي خصّت وثيقة خطوطه العريضة العيلة المسيحيّة بصفحتين، أن تحدّثكم أيّها الأبناء الأعزّاء، عن العيلة المسيحيّة وما تتميّز به من قيم وما يمارسه أفرادها من فضائل، وما يتهدّدها من مخاطر، سائلين الله، بشفاعة العيلة المقدّسة المؤلّفة من يسوع ومريم ومار يوسف، أن يبقى لعيالنا المسيحيّة ما جعل منها مقلع رجال ومنبت ربّات بيوت ومدرسة إيمان، ومختبر تضحية ومدرّجة قداسة.

**1- قيم العيلة المسيحيّة**

**ماهيّة العيلة**

لا بدّ، قبل التحدّث عن قيم العيلة المسيحيّة، من معرفة ماهيّة هذه العيلة: العيلة لغة تدلّ على أهل بيت الرجل الّذين تجب نفقتهم عليه، فهم عياله. ولفظة فاميليا اللاتينيّة تعني أيضًا الرجل وامرأته وبنيه وخدمه وعبيده الّذين يعيشون تحت سقفٍ واحدٍ، وتوسّع معناها فأصبح يدلّ على من يتحدّرون من جدّ واحد لجهة الأب، ولجهة الأمّ المرتبطين برباط الدمّ.

لقد أفرد المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني من وثيقة دستولا راعويّ حول الكنيسة في عالم اليوم فصلاً خاصًّا بالعيلة فعرّف بها وأثبت في أساسها الزواج "وهو شركة عميقة في الحبّ والحياة يؤلّفها زوجان، وهي تقوم على اتّفاقهما أو رضاهما الّذي لا ينتقص. فالزواج مؤسّسة ثبّتتها الشريعة الإلهيّة وتثبّتت في نظر المجتمع نفسه، من العمل البشريّ الّذي به يُعطي كلّ من الزوجين ذاته للآخر ويقبل الآخر. ولا يخضع هذا الرباط المقدّس لهوى الإنسان، بغية خير الزوجين والأولاد والمجتمع أيضًا. فالله نفسه واضع الزواج والحبّ الزوجيّ، في طبيعتهما، إنجاب البنين وتربيتهم. وهذان يتوّجان الحبّ والزواج، كما تتوّج القمّة الجبل"[[2]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn2" \o ").

فالعيلة إذًا كالزواج الّذي تنبثق منه، هي مؤسّسة تقوم على الاتّحاد الثابت بين الرجل والمرأة، وهو اتّحاد حبّ وحياة، منفتح على الإنجاب وعلى واجب تربية البنين والتطوّر الاجتماعيّ.

غير أنّ هناك تيّارات فكريّة تعتبر أنّ هذا المفهوم للعيلة أصبح مفهومًا قديمًا، حرصًا منها على تبرير صيغ أخرى غير شرعيّة للعيلة، وهي صيغ عُرفت منذ القدم بأنّها غير ثابتة وترتدي طابع التسرّي أي المساكنة غير الشرعيّة. وهذه الصيغ كلّها، عندما ينتفي عنها طابع القداسة والديمومة والإنجاب والتربية والتطوّر الاجتماعيّ، لا تسهم في بناء العيلة والمجتمع فقط، بل تعمل على تقويضهما. وقد وصفت الأمم المتّحدة العيلة بأنّها: "بناء أصغر ديموقراطيّة في قلب المجتمع" دون أن تشدّد على طابع الديمومة الّذي تتّسم به العيلة المسيحيّة – الأحاديّة.

ومن أهمّ قيم العيلة المسيحيّة القداسة والديمومة والإنجاب والتربية والتطوير الاجتماعيّ.

**القداسة**

نشأت العيلة القديمة قدم البشر على وجه الأرض، وهي نشأة مقدّسة لأنّ الله هو من أنشأها على ما ورد في الكتاب المقدّس في معرض حديثه عن الخلق. وقد جاء في سفر التكوين أنّ الله بعد أن خلق الكون " خلق الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم" وباركهم الله وقال لهم: "أنموا واكثروا واملأوا الأرض"[[3]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn3" \o ")، ويعود فيشرح كيف أنّ الله جبل الإنسان ترابًا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار الإنسان نفسًا حيّة[[4]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn4" \o "). ثمّ أوقع عليه سباتًا "عميقًا" فنام، فأخذ أحد أضلاعه وسدّ مكانها بلحمٍ. وبنى الربّ الإله الضلع الّتي أخذها من الإنسان امرأة، فأتى بها الإنسان "ويضيف قائلاً: "لذلك يترك الرجل أباه وأمّه ويلزم امرأته فيصيران جسدًا واحدًا"[[5]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn5" \o ").

ومهما يكن من أمر الصور الشعريّة الّتي رافقت رواية الخلق، فإنّ هناك أمرًا ثابتًا راهنًا لا يلقى إليه الشكّ هو أنّ الله هو من أوجد العيلة بخلقه الإنسان ذكرًا وأنثى وأمر الناس بالتنامي والتكاثر والتناسل.

فالعيلة هي على "صورة الله المثلّث الأقانيم الّذي يتميّز بوحدة لا تنفصم، وهذه الوحدة هي حركة حبّ أزليّ بين ثلاثة. وهذه العائلة هي انعكاسٌ حيٌّ بين الناس لسرّ الزواج العظيم بين المسيح والكنيسة. فإذا عاشت العيلة هذا الحبّ وخلّدت هكذا هذا السرّ العظيم فإنّها تشترك في خصب الله الخلاّق وتتقدّس في الوئام والسلام والمجّانيّة والفرح"[[6]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn6" \o ").

والعيلة مقدّسة لأنّها مصدر الحياة وينبوعها. وهل هناك ما هو أقدس من الحياة؟ وبواسطتها تتجدّد الأجيال، ويستمرّ النسل، ويتواصل العمران، ويتطوّر العلم ويسير ركب الحضارة إلى الأمام.

ويشدّد دستور عقائديّ في الكنيسة على دور الأزواج والوالدين المسيحيّين في ممارسة القداسة فيقول: "عليهم باتّباعهم الطريق الخاصّ بهم أن يعاونوا بعضهم بعضًا في النعمة والأمانة والحبّ طوال حياتهم، وأن يشتركوا بمحبّة الأولاد الّذين اقتبلوهم من الله في الحقائق المسيحيّة والفضائل الإنجيليّة وفي ذلك يعطون للكلّ مثلاً في الحبّ سخيًّا وثابتًا، ويسهمون في بنيان المحبّة الأخويّة، ويصيرون شهودًا لخصب أمّنا الكنيسة ومساهمين فيه"[[7]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn7" \o ").

وهكذا يتحوّل البيت العيليّ إلى شبه كنيسة، على ما يقول المجمع عينه: "وبقوّة سرّ الزواج الّذي يؤهّلهم للتعبير عمّا بين المسيح والكنيسة من وحدة سرّيّة وحبّ خصب، يشترك فيه الأزواج المسيحيّون ويتعاونون على تقديس الحياة الزوجيّة بتقبّلهم الأولاد وتربيتهم. وينالون هكذا، في حالتهم ووضعهم، مواهب خاصّة بهم داخل شعب الله".

ومن هذا الزواج تنبثق العيلة الّتي يولد فيها الأعضاء الجدد في المجتمع البشريّ ويصيرون في العماد أبناء الله بنعمة الروح القدس حتّى يدوم شعب الله على مدى الدهور. وعلى الوالدين في هذه العيلة الّتي تمثّل بنوعٍ ما الكنيسة، أن يكونا أوّل المبشّرين بالإيمان أولادهم بالقول والقدوة الحسنة، وعليهما أن يرعيا دعوة كلّ واحد منهم ولا سيّما الدعوة المقدّسة بعنايةٍ خاصّة"[[8]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn8" \o ").

**الديمومة**

ممّا تتميّز به العيلة المسيحيّة الديمومة. فالرباط الّذي يشدّ الرجل إلى المرأة، هو رباط مقدّس غير قابل للإنفصام، إلاّ إذا كان الزواج قد وقع باطلاً من الأساس، لانتفاء أحد شروطه الجوهريّة من مثل إنكار حلية السرّ أو البنين أو الديمومة. لذلك إنّ السيّد المسيح عينه رفع عقد الزواج القائم على الرضى المتبادل بين الرجل والمرأة والمعبّر عنه تعبيرًا حرًّا بمعزل عن أيّ ضغطٍ أو إكراه، إلى مقام سرّ. وهو من استشهد بقول الكتاب: "فلا يكونان اثنين بعد ذلك، بل جسد واحد" وأضاف قائلاً: "ما جمعه الله، فلا يفرّقه الإنسان"[[9]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn9" \o ").

لا بل إنّ هذا السرّ هو من الوثوق والثبات والديمومة بحيث أنّه يشبه ما بين الأقانيم الثلاثة وما بين السيّد المسيح وكنيسته من محبّة ثابتة باقية إلى الأبد. وديمومة العيلة واستقرارها يفترضهما ما يحتاج إليه الزوجين في حياتهما اليوميّة من راحة لا تتوفّر لكلٍّ منهما إلاّ إذا عرف أنّه باقٍ حيث هو في هذا البيت الّذي اشترك في تأسيسه والّذي يجد فيه ما يصبو إليه من "طمأنينة" عاطفيّة وروحيّة ومادّيّة لكي ينمو. إنّ المثال الأعلى للعيلة وللزوجين (الثالوث الأقدس، والعائلة المقدّسة، والمسيح كنيسته يقوم عليها أساس النظام الجديد، الّذي يحمل على الانشراح، أعني حضارة المحبّة[[10]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn10" \o ").

وهذه الديمومة واجبة للأولاد الّذين لا يمكنهم أن ينموا ويكبروا في جوٍّ أنيس إلاّ إذا ترعرعوا في كنف والدين يرعيانهم بالعطف ويحتضنانهم بالعاطفة السخيّة ويسهران على تربيتهم التربية الصالحة وينقلان إليهم الإيمان بالله ومحبّة الوطن والفضائل العيليّة والأخلاق الحميدة والتقاليد البيتيّة المتناقلة أبا عن جدّ، جيلاً بعد جيل.

وقد أشار إرشاد رسوليّ في وظائف العيلة المسيحية في عالم اليوم إلى الشراكة الزوجيّة الدائمة الّتي لا تنحلّ، بقوله: "من واجب الكنيسة أن تثبّت مجدّدًا العقيدة القائلة بعدم انحلال الزواج وتشدّد عليها، كما فعل آباء المجمع، في وجه جميع أولئك الّذين يعتقدون في أيّامنا أنّه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، الاقتران مدى الحياة، بشخصٍ واحد، وأولئك الّذين ينساقون في تيّار ثقافيّ يرفض عدم انحلال الزواج ويسخر علنًا من واجب محافظة الأزواج على الأمانة"[[11]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn11" \o ").

**الوحدة**

العيلة المسيحيّة تنشأ انطلاقًا من اتّحاد رجل وامرأة في رباطٍ مقدّس هو رباط الزواج. فلا تعدّد ولا تعدّد زوجات في المسيحيّة. ذلك أنّ المحبّة الزوجيّة لا تتحمّل التجزئة. والأمانة بين الزوجين هي أثمن الكنوز والوفاء أحدهما للآخر مدى الحياة وحتّى الوفاة، هي القاعدة الّتي تضمن السعادة النسبيّة في الدنيا، ولا سعادة مطلقة على الأرض.

وهذه الوحدة هي الّتي تضمن للأولاد التربية الّتي بدونها لا يمكنهم أن يكونوا رجالاً ونساءً يسهمون في بناء المجتمع وإعمار الوطن وازدهاره. وما من شكّ في أنّ "الشراكة الزوجيّة... تتغذّى بإرادة الزوجين وبعزمهما على تقاسم أثقال الحياة كاملة، أعني ما لهما وما هما: ولهذا إنّ مثل هذه الشراكة هي ثمرة وعلامة لمطلب إنسانيّ عميق... وهبة الروح هي قاعدة حياة للزوجين المسيحيّين، وهي في الوقت عينه دافع يحفزهما على التقدّم كلّ يومٍ نحو وحدةٍ أكثر غنى بينهما على كلّ الأصعدة – أي صعيد الجسد والأخلاق والقلب والعقل والإرادة والروح – وعلى الإعراب للكنيسة بهذه الطريقة، وللعالم عن شراكة المحبّة الجديدة المعطاة بنعمة المسيح".

ويعارض كلّيًّا مثل هذه الشراكة تعدّد الزوجات الّذي يتنافى مباشرةً ومخطّط الله على ما يتجلّى لنا منذ البدء، لأنّه يتنافى والمساواة في الكرامة الشخصيّة بين الرجل والمرأة اللذين يتبادلان هبة الذات في الزواج عن حبٍّ تامّ، وبالتالي فريد، مانع. وقد جاء في المجمع الفاتيكانيّ الثاني: "إنّ المساواة في الكرامة الشخصيّة الّتي يجب الاعتراف بها للرجل والمرأة في ممارسة الحبّ الكامل الّذي يخصّ به أحدهما الآخر، تظهر بجلاء وحدة الزواج الّتي يثبّتها الربّ"[[12]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn12" \o ").

**الإنجاب**

وتستمرّ العيلة بواسطة الإنجاب، وهو من أولى غايات الزواج وإنشاء العيال. وهذا ما أكّده المجمع المسكونيّ الثاني بقوله: "إنّ الزواج والحبّ الزوجيّ يهدفان بطبيعتهما إلى إنجاب الأولاد وتربيتهم. والأولاد هم في الواقع أثمن عطيّة يمنحها الزواج. وهم يساهمون بقسطٍ وافرٍ في تحقيق خير الوالدين نفسهما... ومن ثمّ، فإنّ الحبّ الزوجيّ الصحيح المفهوم على حقيقته، وتكوين الحياة العيليّة المترتّبة عليه، إنّما يهدفان إلى إعداد الزوجين للمشاركة الشجاعة في حبّ الخالق والمخلّص الّذي يريد بواسطتهما أن ينمي باستمرار عيلته الخاصّة ويعزّزها، دون الإقلال من شأن بقيّة أهداف الزواج"[[13]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn13" \o ").

لذلك إنّ الإنجاب يعتبر مسؤوليّة الوالدين أمام الله والضمير والمجتمع ويقتضي له إيمان عميق بالله، وطاعة لإرادته، وشجاعة كبرى، ورغبة صادقة في المساهمة في خير المجتمع، وتطوّر الوطن، وازدهار الكنيسة. وبهذا المعنى يقول أيضًا المجمع عينه: "وحين يقوم الزوجان بواجب إنجاب الأبناء وتربيتهم يدركان أنّهما يعبّران عن حبّ الله الخالق ويعاونان فيه. ولذلك، يجب عليهما أن يؤدّيا هذا الواجب بكلّ تقدير لمسؤوليّتهما كبشرٍ وكمسيحيّين وأن يسعيا باحترام ومطاوعة للربّ وبالوفاق والجهد المشترك لتكوين حكم سليم واضعين في اعتبارهما بجانب خيرهما الذاتيّ مصلحة أولادهما الحاليّين والمستقبلين، مراعين الأوضاع المادّيّة والروحيّة السائدة والمحيطة بحياتهما الخاصّة، وكذلك احتياجات المجتمع واحتياجات الكنيسة أيضًا".

ويشدّد المجمع على وجوب اتّخاذ القرار بهذا الشأن، بطريقة واعية ومسؤولة فيقول: "وعليهما أن يتّخذا هذا القرار أمام عين الله، وفي النهاية بأنفسهما. وليذكر الأزواج أنّهم في سلوكهم هذا لا يتركون لأهوائهم، بل أنّ واجبهم أن يطيعوا دائمًا ضميرهم المطابق وشريعة الله. وعليهم أن يتقيّدوا بتعاليم الكنيسة الموكول إليها تفسير الشريعة على ضوء الإنجيل. وهذه الشريعة الإلهيّة هي الّتي تعلن المعنى الكامل للحبّ الزوجيّ، وهي الّتي تصونه وتوصله إلى اكتماله الإنسانيّ الحقّ"[[14]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn14" \o ").

غير أنّ غاية الزواج لا تنحصر في إنجاب البنين، بل ترمي إلى تمكين الزوجين من التضافر لتذليل مصاعب الحياة، على اختلافها، وإلى دفع المخاطر الّتي تتهدّد كلاّ من الرجل والمرأة فيما لو لم يقدما على إنشاء عيلة بالرضى المتبادل، لذلك يقول المجمع: "يبقى الزواج قائمًا محتفظًا بقيمته وثباته كشركة تشمل كلّ الحياة حتّى ولو لم تتحقّق أمنية الزوجين – الّتي كثيرًا ما تكون قويّة – في إنجاب الأولاد"[[15]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn15" \o ").

**التربية**

غير أنّ الإنجاب يفترض واجبًا وهو تربية البنين. وهو واجب يلزم الوالدين قبل أن يلزم سواهم أيًّا كان هذا السوى. وهو حقٌّ لهم يتقدّم حقّ أيّ كان، سواء أكان المجتمع أم الدولة أم أيّة مؤسّسة أخرى. وقد أبان إرشاد رسوليّ في وظائف العيلة المسيحيّة في عالم اليوم، هذين الواجب والحقّ مستشهدًا بالمجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني بقوله: "وتغرس مهمّة التربية جذورها في دعوة الأزواج الأساسيّة إلى الاشتراك في عمل الله الخلاّق: ذلك أنّ الوالدين، بإيلادهم في الحبّ ومن الحبّ إنسانًا جديدًا يحمل في ذاته دعوة إلى النموّ والتطوّر، يأخذون على عاتقهم مهمّة مساعدته مساعدة فعّالة على أن يحيا حياة إنسانيّة كاملة. وهذا ما ذكّر به المجمع الفاتيكانيّ الثاني بقوله: "بما أنّ الوادين قد أعطوا أولادهم الحياة، فيقع على عاتقهم الواجب الخطير جدًّا بأن يربّوهم، ويجب، بهذه الصفة، الاعتراف بأنّهم المربّون الأوّلون والرئيسيّون لأولادهم. ومهمّة الوالدين التربويّة هي من الأهميّة بحيث يعسر الاستعاضة عنها، إذا ما تقاعسوا هم عن القيام بها. فمن واجب الوالدين خلق الجوّ العيليّ الّذي تسوده المحبّة والاحترام تجاه الله والناس، والّذي يساعدهم على تربية أولادهم تربية كاملة، شخصيّة وإجتماعيّة. فالأسرة إذن هي المدرسة الأولى للفضائل الاجتماعيّة الضروريّة لكلّ مجتمع"[[16]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn16" \o ").

ومن شأن هذه التربية أن تكسب الولد عادات وطرق تصرّف وأنماط حياة خاصّة يتبعها في حياته اليوميّة. ذلك "أنّ الإنجيل على ما يقول أحد كبار المفكّرين، يلهم قواعد تصرّف جديدة". هناك، بالنسبة إلى تلامذة المسيح، طريقة خاصّة للعمل والراحة، والاحتفال بالأفراح والأتراح، وممارسة الأعمال والسياسة، وإدارة مؤسّسة أو نقابة، واستعمال وسائل الإعلام أو الدعاية، والعيش في العائلة، ومحبّة القريب، وتربية الأولاد، والعناية بالمرضى، وإدارة مستشفى أو مدرسة أو جامعة، والدفاع عن حقوق الإنسان، ومساعدة الفقراء، وانتقاد نزعات المجتمع غير الإنسانيّة أو المشينة. وهكذا تنفذ القيم المسيحيّة إلى ثقافة حيّة، وطرق التصرّف الّتي تشكّل ثقافة، وتتشبّع من الإنجيل. فيقوم تمازج بين القيم الثقافيّة، وقيم الإيمان، يقول البابا يوحنّا بولس الثاني: "فالتآلف بين الثقافة والإيمان ليس مطلبًا ثقافيًّا وحسب، بل أيضًا مطلب إيمانيّ... إنّ إيمانًا لا يصبح ثقافة لهو إيمان لا يلقى كلّ ترحيب ولا هو موضوع تفكير عميق ولا يعاش بأمانة"[[17]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn17" \o ").

**التطوّر الاجتماعيّ**

ومن فوائد التربية أنّها تساعد على التطوّر الاجتماعيّ. فالعيلة الّتي تتعاقب فيها أجيال من الأولاد يتكوّن لديها تراث وتاريخ، يأتيان نتيجة جهود مكثّفة يتوارثها الخلف عن السلف، وهذا ما يغني العيال ويسهّل على اللاحقين سبل الاقتداء بالسابقين وإضافة ما باستطاعتهم أن يضيفوه إلى ما تركه لهم من تقدّمهم في هذا أو ذاك من حقول المعرفة والاستنباط. وقد وقد شدّد المجمع الفاتيكانيّ على دور المسيحيّين في البلدان الغنيّة في مجال الإنماء فقال: "على المسيحيّين أن يساهموا طوعًا وبطيبة خاطر في قيام النظام الدوليّ الّذي ينبغي أن يتأسّس على الاحترام الصريح للحرّيّات المشروعة والاخاء الودود بين الجميع، وسيدفعهم إلى القيام بذلك عن رضى تامّ كون معظم العالم يتألّم ويعاني لدرجة أنّ المسيح نفسه في شخص الفقراء يطالب ويستصرخ تلاميذه من أجل البذل والمساعدة". ويتابع قائلاً: "فلنتدارك إذًا الشكّ المتأتّي من كون بعض الدول الّتي يلقّب سكّانها بالمسيحيّين يتمتّعون بفيضٍ من الخيرات بينما نرى بقيّة الدول محرومة من ضروريّات الحياة، وتقاسي الجوع والمرض وكلّ ألوان الشقاء. إنّ روح الفقر والمحبّة هي فخر كنيسة المسيح وعلامتها المميّزة[[18]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn18" \o ").

وهذا التطوّر الاجتماعيّ هو مسؤوليّة كلّ كائن بشريّ، ولكنّه لا يمكنه أن يقوم بهذه المسؤوليّة إن لم يتمرّس بها منذ الصغر، وهو في كنف عيلة تعلّمه كيف يجب أن ينهض بالمسؤوليّة. وبهذا المعنى يقول قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني: "إنّ كلّ نشاط بشريّ يندرج في ثقافة معيّنة ويتفاعل معها أو ضدّها. ولكي تتكوّن هذه الثقافة كما يليق، يجب أن تلفّ الإنسان بكامله بحيث ينمّي حسّ الخلق لديه وعقله ومعرفته للعالم والناس. وهو يوظّف في ذلك طاقات السيطرة على نفسه، والتضحية الشخصيّة في سبيل التضامن والخدمة من أجل تطوير الخير العامّ. وتحقيقًا لذلك، إنّ أوّل مهمّة وأهمّها تتمّ في قلب الإنسان، وإنّ الطريقة الّتي يكرّس الإنسان ذاته معها لبناء مستقبله، تتعلّق بالفكرة الّتي يكوّنها عن ذاته ومصيره. وعلى هذا المستوى تقوم مساهمة الكنيسة بطريقة خاصّة حاسمة في الثقافة الحقيقيّة. فهي تساند نوعيّة التصرّف البشريّ الّذي يساعد على تكوين ثقافة السلام، في وجه الصيغ الثقافيّة الّتي تغرّق الإنسان في الجمهور، وتتجاهل دور ما عنده من مبادرة وحرّيّة، والّتي لا تضع عظمته إلاّ في تقنيّة النزاعات والحروب"[[19]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn19" \o ").

**2- فضائل العيلة المسيحيّة**

معلوم أنّ الحياة العيليّة لا يمكن أن تستقيم وتستمرّ وتزدهر ما لم تتأسّس على قواعد ثابتة من الفضائل الإنسانيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة والإنجيليّة. والعيلة الّتي يخلو جوّها من هذه الفضائل لا تلبث أن تتفكّك وتزول. وتفكّك العائلات من كبريات الآفات الّتي تصيب المجتمع البشريّ.

**الحبّ الزوجيّ**

وقد شدّد المجمع الفاتيكانيّ على البعض من هذه الفضائل وفي مقدّمها الحبّ الزوجيّ فأبان أنّ السيّد المسيح "مخلّص البشر وعروس الكنيسة هو من يتقدّم لملاقاة الأزواج المسيحيّين في سرّ الزواج. إنّه يبقى ويثبت معهم ليستطيع الزوجان بعطائهما المتبادل أن يحبّ أحدهما الآخر بأمانة ثابتة، كما هو نفسه أحبّ الكنيسة وبذل ذاته لأجلها. إنّ حبّ الله يرفع الحبّ الزوجيّ الحقيقيّ، كما أنّ المسيح بقوّة الفدء والكنيسة بعملها الخلاصيّ، يوجّهانه ويوفّران غناه حتّى يقود الزوجين عمليًّا إلى الله وحتّى يساعدهما ويثبّتهما في رسالتهما السامية كأب وأمّ"[[20]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn20" \o ").

وهذا الحبّ الزوجيّ هو أبقى ما يبقى، بعد أن يكون الزوجان قد قطعا أشواط الحياة معًا وربّيا البنين ووفّرا لهم من العلم والتربية والتوجيه ما يمكّنهم من شقّ طريقهم في الحياة، وبعد أن يكونا قد قرّا عينا بهم يحتلّون في مجتمع يعيشون فيه المنزلة الّتي طمعا لهم بها، ورأياهم يؤسّسون بدورهم عيالاً على غرار العيلة الّتي نشأو في كنفها، إذ ذاك يجد الزوجان وكأنّهما يبدآن حياتهما مجدّدًا في جوّ من الحبّ الصافي والتعاون المخلص. وإلى هذه الحقيقة أشارت رسالة راعويّة صدرت مؤخّرًا في الزوجين والعيلة قد جاء فيها، عود إلى البدء: "أقول للأزواج الّذين يشعرون أحيانًا بالقلق عندما يكون أبناؤهم قد كبروا وأصبح البيت تقريبًا فارغًا: لستما فقط أبًا وأمًّا. أنتما أوّلاً زوجان. هل تعرفان أن تجدّدا، ولدى الحاجة أن تتعلّما مجدّدًا، الحركات الّتي جعلتكما سعيدين في بدء حياتكما الزوجيّة؟ إنّ العمر والغضون لا يمنعان من الحبّ. لكن الحبّ بإمكانه أن يتغضّن، كما يتغضّن الوجه، إذا غابت الحركات الدالّة على الحنان والّتي يستنبطها المحبّون. الحبّ ممكن في الثمانين. وأعتقد أن والديّ كانا محبّين وقد تعدّيا هذه السنّ وهذا ما أفرحني" [[21]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn21" \o ").

**الثقة المتبادلة**

إنّ ما يجعل الحياة العائليّة أنيسة مستحبّة ما يسودها من جوّ ثقة متبادلة بين الزوجين، وبين هذين والأبناء. وإذا انتفت الثقة أصبح الجوّ العائليّ جحيما. وهذه الثقة لا تتوفّر إلاّ مع الممارسة اليوميّة ولا تبنى إلاّ على الصراحة التامّة بحيث لايخفي أي من الزوجين عن الآخر أي أمر أو أيّة قضيّة، عاديّة كانت أو غير عاديّة. وإنّ خير ما يساعد على إشاعة هذا الجوّ من الثقة في المنزل الزوجيّ انفتاح الزوجين أحدهما على الآخر، بحيث يكونان في حياتهما العيليّة والاجتماعيّة والدينيّة معًا، فيجلسان معًا في أوقات الراحة ويذهبان معًا إلى الكنيسة ويزوران معًا الأنسباء والأصدقاء، ويشاركان معًا في الأفراح والأتراح، وإلى هذا الواقع أشار ترتليانوس بقوله: "أين ترى سأنهل القوّة لوصف سعادة الزواج الّذي تعدّه الكنيسة وتثبّته تقدمة الذات وتختمه البركة، وصفًا مرضيا. إنّ الملائكة تعلنه والآب السماويّ يبرمه... أي زوجين هما مسيحيّان يوحّدهما رجاءٌ واحدٌ، رغبةٌ واحدةٌ، نظامٌ واحدٌ، والخدمة عينها. كلاهما ولدا آب واحد، خادمًا معلّم واحد. ما من شيء يفصلهما لا بالروح ولا بالجسد. إنّهما على العكس، اثنان في جسدٍ واحدٍ. وحيثما الجسد واحد، فالروح واحد"[[22]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn22" \o ").

**التراث المشترك**

بالإضافة إلى الحبّ الزوجيّ والثقة المتبادلة، يأتي كلّ من الزوجين بما وجد في عائلته من تراث هو ثمرة ممارسة أجيال وأجيال تعاقبت في هذه أو تلك من العيال. وهذا غنى إنسانيّ وروحيّ لا يستهان به، وتمكن الفائدة منه. وفي مقدّمة ما يحمله التراث إلى العيال الناشئة الإيمان بالله الّذي يتناقله الأبناء عن الآباء وهؤلاء عن الأجداد. لذلك تنصح الكنيسة الكاثوليكيّة أبناءها بالتزواج في ما بين من يكونون على إيمانٍ واحدٍ وتقاليد متشابهة، لئلاّ يصبح الاختلاف في الدين سببًا للاختلاف في العيلة. غير أنّ المجمع المسكونيّ يوصي بالتعاون مع سائر المسيحيّين وغير المسيحيّين على وجه الإجمال، على ما ورد في قرار مجمعيّ في رسالة العلمانيّين: "التراث الإنجيليّ المشترك وما ينتج عنه من واجب الشهادة المسيحيّة، غالبًا ما يتطلّبان ويقتضيان تكاتف الكاثوليك مع سائر المسيحيّين، تكاتفًا على الكنيسة، أفرادًا وجماعات، أن تحقّقه إن في النشاطات وإن في الجماعات، على الصعيد الوطنيّ أو الدوليّ".

ويتابع قائلاً: "وإنّ القيم المسيحيّة الإنسانيّة المشتركة تفرض أيضًا تكاتفًا شبيهًا بذاك بين المسيحيّين الّذين يجدّون في إثر غايات رسوليّة، وأولئك الّذين لا يقرّون بالمسيحيّة، ولكنّهم يؤمنون بتلك القيم"[[23]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn23" \o ").

وإنّ وسائل النقل والاتّصال الّتي تنامت وتكاثرت سهّلت على الناس سبيل الاطّلاع على التراث العالميّ، لكنّها في الوقت عينه باتت تهدّد التراث العيليّ والوطنيّ، لذلك تجب اليقظة للإفادة منها وفي الوقت عينه اجتناب ما قد تحمله من مغريات ومفاسد. وبهذا المعنى يقول الأب كاريه: "إنّ الحدود التقليديّة الهامّة الّتي كانت منذ قرون تحمي الثقافات الوطنيّة، تراجعت أمام غزوات الموجات الّتي لا تقاوم والّتي تحمل، في الفضاء الحرّ، الرسائل والصور والدعاية ومغريات الراديو والتلفزة. وهذا الغزو لحدودنا ولمنازلنا، هو الثمن الّذي يجب أن ندفعه للحداثة، على ما قلنا، وإنّا لنعجب أن يكون كلّ رجل وامرأة قد أصبح مشدودًا إلى جميع إخوانه وأخواته. فالجميع يشاهدون الأنباء ذاتها، ونتاج الفنّ، والمعارف، والإمكانات غير المحدودة للمشاركة في التراث الثقافيّ الكونيّ"[[24]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn24" \o ").

**التضامن**

لا شكّ في أنّ التضامن الّذي يجب أن يقوم بين مختلف أفراد العيلة يعتبر بمثابة اللحمة الّتي تحفظ هذه العيلة متماسكة في وجه ما يهبّ عليها من رياح فتنة. وهذا ما برهنت عنه العيال اللبنانيّة إبّان سني المحنة الطويلة الّتي أصابت لبنان. وإذا كان اللبنانيّون قد تمكّنوا من التغلّب عليها، فلأنّ معظم العيال اللبنانيّة لقيت المساعدات المعنويّة والمادّيّة الّتي كان يمدّها بها مَن مِن أفرادها هاجروا إلى خارج لبنان، سواء أكان إلى بلدان بعيدة أو قريبة، وهذا ما أتاح للمقيمين الثبات في مواقعهم إلى ما بعد انجلاء غبار المعارك الضارية الّتي أوقعت ما أوقعت من قتلى وتسبّبت بما تسبّبت به من خراب ودمار على كلّ صعيد.

غير أنّ هذا التضامن بين أفراد العيلة الواحدة قد يتّخذ وجهًا سلبيًّا، إذا كان لا يميّز بين المصيب والمخطىء، والمسيء والمحسن، لأنّ التضامن لا يصحّ أن يتمّ على حساب الحقّ والعدل. ويجب أن يتعدّى العمل في سبيل التضامن النطاق العيليّ إلى النطاق الاجتماعيّ فالوطنيّ فالدوليّ، ليصبح شعورًا بالإخاء العالميّ، على ما أشار إليه قرار مجمعيّ في رسالة العلمانيّين وقد جاء فيه: "بين علامات العصر الّذي نعيش فيه، ينبغي التنبّه إلى شعورٍ متزايد الأهميّة، ألا وهو شعور التضامن بين الشعوب كلّها الّذي يتوجّب على العلمانيّين تعزيزه بعملهم الرسوليّ، وتحويله إلى عاطفة تآخ صادقة وفعّالة"[[25]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn25" \o ").

والتضامن سنّة الطبيعة البشريّة ذلك أنّ "الإنسان يتنامى بذكائه وحرّيّته، وهو إذ يفعل ذلك، يأخذ، موضوعًا وأداة، عناصر العالم ويختصّها بنفسه... والإنسان بعمله يبذل ذاته لا سبيل نفسه وحسب، إنّما أيضًا من أجل الآخرين ومع الآخرين: كلّ يساهم في عمل الآخر ولأجل خيره. والإنسان يعمل ليؤمّن حاجات عيلته، والمجموعة الّتي ينتمي إليها، والأمّة، وفي النهاية، البشريّة جمعاء"[[26]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn26" \o ").

ولا يكون التضامن صحيحًا وسليمًا بين أفراد العيلة إلاّ إذا قام على الاحترام المتبادل والمحبّة الصافية المجرّدة الّتي ترتضي كلّ تضحيةٍ في سبيل من تحبّ.

**3-**      **الأخطار الّتي تهدّد العيلة**

لا يخفى أنّ هناك أخطارًا عديدة تهدّد العيلة المسيحيّة. وإنّا لنشعر بألمٍ عميقٍ عندما نرى أنّ بعض الأزواج يذهبون إلى المحاكم الكنسيّة، وأحيانًا يلجأون إلى ما سوى المحاكم من وسائل، ليعلنوا بطلان زواجهم بعد أن يكون قد انقضى عليه عشرون وأحيانًا ثلاثون سنة، وانفسح المجال أمام بعض أبنائهم ليؤسّسوا بدورهم عائلات. وهذه آفو كبيرة تهدّد المجتمع البشريّ بالتفسّخ والانهيار.

ومن الأخطار الّتي تهدّد العيلة الإقبال على إنشائها دونما استعداد لتحمّل ما تلقيه على كلّ الزوجين من مسؤوليّات، والغيرة القاتلة الّتي تتحكّم بأحد الزوجين أو بكليهما، والأنانيّة الّتي تدفع كلّ من أفراد العيلة إلى البحث عمّا يرضي أهواءه دونما نظر إلى وضع سائر أفراد العيلة، إلى ما سوى ذلك من أخطار تتكاثر مع الأيّام ومع انفتاح المجتمعات على بعضها وعلى ما يحمله بعضها من أفانين الشرّ والأذى، طمعًا بمكاسب خسيسة أو حبًّا بالضرر.

**الإقبال على الزواج دون الاستعداد له**

إنّ هذه الظاهرة كان لها أسوأ أثر على ثبات العيلة، وقد تفشّت إبّان سني الحرب، عندما كان يلتقي بعض من الشبّان والشابّات في "الخندق"، وهم يقومون "بمهمّات عسكريّة"، فيتعارفون بسرعة ويقرّرون بخفّة الإقبال على الزواج، ولا يمضي غير قليل، حتّى يقرّروا الانفصال بسرعة وبخفّة مماثلتين.

والزواج سرّ رسمه السيّد المسيح، لا بل إنّه أوّل سرّ رسمه ليجري بواسطته إلى الّذين يقتبلونه ما يحتاجون إليه من قوّة للقيام بمسؤوليّاتهم الكبيرة الّتي يرتّبها هذا السرّ عليهم. وليس من باب الصدفة أن يكون السيّد المسيح قد رسم سرّ الزواج أوّلاً وأتى في هذه المناسبة أوّل أعجوبة له فحوّل الماء خمرًا[[27]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn27" \o ").

لقد كان بإمكانه "أن يبدأ رسالته بشفاء أعمى أو أعرج أم مقعد. إنّ يوحنّا الّذي كان أقرب الرسل إلى السيّد المسيح يفتح صفحة رسالة المسيح بزواج... أشاع الفرح. عندما نعود لاحقًا إلى قراءة هذه الأعجوبة، هذه الآية الّتي أتاها يسوع، نجد فيها عدّة رسائل. نرى فيها، على وجه التأكيد، إعلان الوليمة على مائدة الله، ونرى فيها أيضًا علامة العهد بين الله والناس، الّذي يعبّر عنه العهد بين الرجل والمرأة. ونقرأ فيها مباشرةً الأهميّة الّتي يعلّقها يسوع على الزوجين، والزواج والعيلة. وهذا ما يهمّنا مباشرة. يسوع العازب من أجل الله، يسوع الّذي يدعو آخرين إلى أن يعيشوا مثله عزوبة موقوفة بكاملها على خدمة أبيه والناس، يحتفل بفرح الزواج، فهو يعرف ما هي العيلة، ويحبّ العيلة، وأظهر يومذاك ما لها من أهميّة. قانا تبقى عيد الزوجين، عيد الزواج، عيد العائلة، وهو عيد يحمل طابع الفرح"[[28]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn28" \o ").

لذلك إنّا نرحّب بالجهود المبذولة من أجل إنشاء مراكز للإعداد للزواج في بعض الرعايا ونشجّع القائمين بها والشبّان والشابّات الّذين يقبلون على متابعة ما يلقى عليهم فيها من محاضراتٍ في مختلف الشؤون العيليّة من دينيّة وأخلاقيّة وإجتماعيّة وطبّيّة.

**الأنانيّة**

ألدّ أعداء العيلة الأنانيّة. لذلك حذّر بولس الرسول من هذا العدوّ بقوله على وجه الإجمال: "لا يسعينَّ أحد إلى منفعته، بل إلى منفعة غيره..." ويقدّم ذاته مثلاً في هذا المجال فيقول: "لا أسعى إلى منفعتي، بل إلى منفعة جماعة الناس لينالوا الخلاص". وينهي بقوله: "اقتدوا بي، كما أقتدي أنا بالمسيح"[[29]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn29" \o ").

وجمال العائلة وقوّتها يكونان بتماسكها، ولا تتماسك إلاّ إذا نبذ كلّ من أفرادها ما يرضيه شخصيًّا ليبحث عمّا يرضي سواه من أفراد العيلة، إذا كان في ذلك خير الجميع.

وهناك أنانيّة مزدوجة إلى جانب الأنانيّة الفرديّة، وهي تقوم على أن يسعى الزوجان إلى ما فيه إرضاء ميلهما إلى الراحة واطّراح المسؤوليّة والتهرّب ممّا يرتّبه الإنجاب والعيلة من واجبات ومسؤوليّات.

الايلاد قصّة طويلة يتخلّلها فترات أحيانًا صعبة. لكن هذه القصّة الطويلة، وهذا الصبر الطويل المجّانيّ، هما الشرط ليتمكّن الولد يومًا من أن يشقّ طريقه بحرّيّة، ويختار بذاته ما سيكون مستقبله. وهذا الصبر الجميل، يجب الاستعداد له قبل الولادة. وعندما يتكوّن الولد في حشا أمّه، هناك سؤال جوهريّ يطرح نفسه: "هل سنقبلك ونحبّك؟ هل سنقبلك كما أنت، دون أن نضفي عليك أحلامنا الّتي لا فائدة منها؟ هل سنعرف كيف نحملك على أن تكتشف من أنت؟ إلى ما أنت مدعوّ له؟ ماذا سنعمل لتكتشف العالم بوصفك رجلاً، امرأة، مسيحيًّا ومسيحيّة؟ علامات الحنان، والمتطلّبات والحضور، والنقاش، والخفر لدى الحاجة، والصلاة، كلّ هذا يشكّل جزءًا من رسالة الوالدين. إعطاء الحياة أمر يكلّف، لكنّه جميل وأساسيّ. وإنّ كلّ ولادة جديدة تجدّد العجب من أوّل إكتشاف، ورابع وخامس ولد سيكون موضع انتظار إخوانه الأكبر منه في رغبة ملحّة تشبه رغبة الزوجين اللذين كانا يستعدّان لقبول أوّل ولد"[[30]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn30" \o ").

لكن كلّ ولادة جديدة قد تتسبّب للوالدين بمفاجأة مزعجة إن لم تكن مأساويّة وهي إذا كان المولود معاقًا. لكن إذا عرف الوالدان أن يتقبّلا هذا الولد، فإنّه سيكون لهما في الوقت عينه سبب تعزية وفرح لهما ولإخوانه وأخواته. ذلك أنّهما يعيشان فرح الصليب الّذي لن يتوفّر إلاّ للّذين يعمّقون إيمانهم بالله. وبعد، إنّ من حقّ الوالدين في مثل هذه الحال أن يلقوا المساعدة من الدولة والكنيسة لمواجهة الأعباء الّتي ترتّبها عليهم مثل هذه الولادات.

**الغيرة**

الغيرة غالبًا ما تكون عنصرًا يدخل الشقاق إلى العيلة. فهي دليل على قلّة ثقة بالآخر، وهي تحمل على مراقبة القرين وتتبّع حركاته وسكناته وأقواله وأعماله، ممّا يخلق جوًّا بيتيًّا ضاغطًا، وينتهي بالجدل والشجار، وفي غالب الأحيان بالإنفصال مع ما يستتبع ذلك من أخطار على الزوجين والأولاد وفي وقت معا.

لذلك، إنّ الحياة الزوجيّة تتطلّب جهدًا مستمرًّا يقوم به كلّ من الزوجين للبقاء على المستوى المطلوب من الأمانة والمحبّة والاتّزان والثقة المتبادلة وضبط النفس. ذلك أنّه "ليس من السهل أن يكون الإنسان في عيلة أو أن يكون زوجا. هناك أزواج يعيشون في تفاهم، وهناك غيرهم يصعب عليهم التفاهم. إنّ الحياة الزوجيّة والحياة العيليّة تتطلّب الكثير من الصبر... وتأتي التجارب، وقليلون الّذين ينجون منها. وقد تكون مؤذية لبعض الأزواج خاصّة إذا كانوا نوعًا ما قد فقدوا عادة الالتقاء والحوار بعمق، فصرفوا كلّ انتباههم إلى أولادهم. كما لو كان أولادهم قد أنسوهم، دون علم منهم، أن يعيشوا كأزواج. وهذا بإمكانه أن يتوضّح وأنّ ما كان يمكن أن يكون فشلاً وقطيعةً، يتحوّل إلى محنة تساعد على النضج. لكن قد يتّفق أن تبقى العلاقة وأن يتواصل سوء الفهم، فإذا بالحياة تصبح مزدوجة إلى يوم يفرض فيه الخيار نفسه، هذا الخيار بإمكانه أن يكون مصالحة حقيقيّة، واستئناف المسيرة بمعونة حبّيّة من بعض الأصدقاء، وأيضًا بعض الأخصّائيّين، ودونما شكّ بمعاونة مستشار روحيّ. وما كان قد انكسر يجبر. والأولاد الّذين كانوا غالبًا ما يشعرون بما كام من سوء تفاهم دون أن يبوحوا في غالب الأحيان، وأحيانًا يبوحون بالمأساة الّتي يرونها تتمثّل، يستشعرون الانفراج، على شرط أن تكون الانطلاقة صحيحة، وأن يكون هناك مشاريع جديدة، وإن تستجدّ الأوضاع بكلّ ما للكلمة من معنى.

ونعمة سرّ الزواج ليست كلمة فارغة، فهي تتقبّل الغفران وتقود إلى الغفران. وهذا واقع حياة وقيامة"[[31]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn31" \o ") .

**الفرديّة**

إنّ الفرديّة أصبحت طاغية في عصرٍ نعيش فيه. لقد تفكّكت الأطر الاجتماعيّة الّتي كانت تحمي العيلة في ما مضى من الأيّام. إنّ انتقال الأشخاص السريع من بلدٍ إلى بلد، بالإضافة إلى اختلاط الجماعات في المدن انتزع الفرد من الجماعة التقليديّة الّتي كان ينتمي إليها، واقتُلع من قريته ورعيّته وعيلته، وأصبح مستقلاًّ في اختيار الدور الّذي يريد القيام به في المجتمع، فيما كان يفرض عليه دورَه في الماضي وسطُه وعمرُه وعيلتُه ووضعُه الاجتماعيّ. وهذا كلّه له تأثيره على العيلة ومستقبلها.

وتأثّرت العيلة بهذا الوضع ففقدت دورها التربويّ التقليديّ ووظيفتها الإنتاجيّة الاقتصاديّة، وابتعدت عن دائرة القرابة الموسّعة، فأصبحت متحرّكة كسوق العمل، فحدّت من الولادات وهذا ما له تأثيره على الوضع السكّانيّ. وأصبحت العيلة الملجأ الخاصّ يحتمي به الفرد في مجتمع تضيع فيه شخصيّته.

وأزمة العيلة هي من علامات العصرنة وهي أزمة تفاقمت منذ قرن حتّى أصبحت المؤسّسة العيليّة في خطر برفض الزواج الدينيّ وحتّى المدنيّ في بعض الأوساط وبالمساكنة بين أناس من جنسٍ واحد، وبتكاثر إبطال الزواجات، وممارسة التعقيم والإجهاض [[32]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn32" \o ")، ما عدا ما يجري في المختبرات باسم الطبّ من ممارسات تؤدّي إلى التعامل مع الإنسان، وهو يرتدي طابعًا مقدّسًا لأنّه مخلوق على صورة الله ومثاله، كما لو كان حيوانًا ليس إلاّ، أو أداة صمّاء تستخدم لأغراض وغايات هي أبعد ما تكون عمّا يجب لحقوق الإنسان من احترام.

ويبقى في هذا المجال، بوجهٍ خاصٍّ، للضمير كلمته الأخيرة، أي الضمير المستنير بنور الإيمان بالله، وقد أشار إلى ذلك قداسة الحبر الأعظم في رسالته الأخيرة الصادرة في السادس من آب 1993. وقد جاء فيها أنّ الضمير، يقول القدّيس بوناونتورا، هو من الله المنادي والرسول. إنّ ما يقوله، لا يأمر به من عنده، بل يأمر به على أنّه آتٍ من الله، فِعْلَ المنادي عندما يعلن أمر الملك. ونتيجة ذلك أنّ للضمير قوّة الإلزام. يمكن القول أنّ الضمير يؤدّي شهادة الاستقامة والخبث من الإنسان للإنسان عينه، إنّما هو في الوقت عينه، وقبل كلّ، شهادة الله ذاته الّذي ينفذ صوته وحكمه إلى صميم الإنسان حتّى جذور النفس بدعوته إيّاه بقوّة ورفق إلى الطاعة: "إنّ الضمير الأدبيّ لا يحجر على الإنسان في عزلة لا تذلّل ولا تقتحم، بل يفتحه على نداء الله وصوته. فهناك، وليس في أي مكانٍ آخر، يكمن سرّ الضمير الأدبيّ وكرامته، في الوجود، أعني في المكان والمساحة المكرّسة حيث يكلّم الله الإنسان"[[33]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftn33" \o ").

**الخــــتـــام**

بعد أن عرضنا بعضًا من قيم العيلة وفضائلها وما يتهدّدها من أخطار، نتوجّه إلى عيالنا اللبنانيّة ونخصّ من بينها المسيحيّة لنسألها أن تحافظ على قيمها وفضائلها وتجانب ما يحيق بها من أخطار. ولقد أثبتت عيالنا، على مرّ التاريخ، أنّها كانت منبت رجال ومختزن مكرّمات. وتاريخ العيال في لبنان هو في الحقيقة تاريخ لبنان. وقد أعطت الوطن خيرة أبنائه في كلّ الميادين وقد كان من بينهم كهنة ورهبان وراهبات وحملة أقلام ورجال صلاة وقداسة وأرباب عيال قهروا الحياة وذلّلوا الصعوبات لينهضوا بمسؤوليّاتهم تجاه أبنائهم، وربّات بيوت اشتهرن بما ارتضين من تضحيات في سبيل تربية أبنائهنّ على التقاليد العيليّة والقيم الدينيّة والأخلاقيّة.

ولا يمكننا إلاّ أن نحيّي بمشاعر التقدير والاحترام العيال الّتي مزّقتها الحروب المتعاقبة على أرضنا، ففقدت من فقدت من أبنائها ومن بينهم من قيّض لهم أن يشيّعوا إلى مثواهم الأخير، ومن بينهم من حرموا هذه التحيّة الأخيرة فغيّبوا ولم يعرف حتّى اليوم ما كان أو ما هو مصيرهم وما إذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة وفي أرض الأحياء، أم أصبحوا في عداد الأموات.

وإنّا نحيّي خاصّةً الآباء والأمّهات الّذين، على الرغم من فجيعتهم بغير واحد من فلذات أكبادهم، حافظوا على إيمانهم بالله ووجدوا فيه خير سندٍ لهم في المحنة الكبيرة الّتي ألمّت بهم. وقد تمكّنوا بما عمر قلوبهم من رجاءٍ مسيحيٍّ من أن يعيدوا مثنى وثلاث ورباع بناء ما تهدّم من بيوتهم ومتاجرهم، وصبروا على التهجير من قراهم وملاعب طفولتهم ومسارح صباهم، ولا يزالون يحنّون إلى أرضٍ سقوها عرق الجبين ودم القلب واستنبتوها ما يحتاجون إليه للقيام باودهم والحفاظ على كرامتهم، بعيدًا عن ذلّ السؤال.

ولا ننسى مَن مِن أفراد العيال، وربّما عيالاً بجميع أفرادها، اضطرّتهم الحروب اللبنانيّة إلى الهجرة إلى بلدانٍ بعيدةٍ فقاسوا وحشة الفرقة وجابهوا بشجاعةٍ مصاعب الغربة، وبنوا حياتهم من جديد على أرضٍ لم يألفوها من قبل وسط قومٍ يلتقونهم لأوّل مرّةٍ ويجهلون عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ونمط عيشهم، وقد استطاعوا، على الرغم من كلّ الحواجز المعوّقات أن يقتطعوا لنفوسهم منزلة محترمة في غير قطاع من قطاعات مجتمع أصبحوا جزءًا منه، ومكّنوا أبناءهم من أن يجلّوا في ما اختاروه من ميادين العلم والتجارة والأعمال.

هي عيال لبنان تعيش تحت سمائه وتحت سماواتٍ بعيدة. وتستأهل التقدير والتكريم لأنّها حافظت على روح الوطن الّتي تحيا في أبنائها حيثما حلّوا وارتحلوا. ذلك أنّ للوطن روحًا عجيبة، تغوص في أعماق التاريخ. وهي تذكّر الشعب دائمًا وأبدًا بأصوله وجذوره، وتنعش ذاكرته فتقيه الضياع. وما كان التاريخ يومًا ذاكرة الأحداث الغابرة وحسب. لكنّه الحاضر الحيّ، وهو يحما في طيّاته صورة المستقبل. وهو مستقبل نأمله زاهرًا بأسباب العزّة والكرامة على أرضٍ محرّرةٍ من أيّة جيوش غير لبنانيّة، في ظلّ سيادة تامّة واستقلال ناجز وحرّيّة مسؤولة وعدالة إجتماعيّة صحيحة ومساواة كلّيّة ونظام ديموقراطيّ سليم يكون فيه للشعب كلمته المسموعة ورأيه المطاع، وللإنسان حقوقه المصانة بعيدًا عن تعسّف وإذلال وامتهان.

وإنّا إذ نسأل الله أن يبارك عيالنا لتبقى مزدهرة بالقيم والفضائل، على مثال العيلة المقدّسة، نجدّد لكم أيّها الأبناء الأعزّاء، مقيمين وفي بلدان الانتشار، عاطفتنا الأبويّة، آملين أن تستفيدوا من فرصة إعداد المجمع الراعويّ من أجل لبنان ومن مناسبة زيارة قداسة الحبر الأعظم البابا يوحنّا بولس الثاني المرتقبة بعد أشهر إلى لبنان، لتتجدّدوا روحيًّا، وتقتربوا من الله وبعضكم من البعض الآخر، لتتوحّد القلوب حول الوطن الجريح لعلّه ينهض من كبوته ليستقبل فجر السلام الّذي سيطلّ على هذه المنطقة، بعد سني القهر والعذاب والحروب.

وإنّا فيما نضع هذه الأمنية الغالية بين يدي أمّنا العذراء مريم والدة الله وسيّدة لبنان، نستمطر عليكم جميعًا بشفاعة أبي كنيستنا مار مارون فيض النعم والبركات.

عن كرسينا في بكركي، في التاسع من شباط، سنة 1994، عيد أبينا القدّيس مارون.

**نصر الله بطرس صفير**

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

[[1]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref1" \o ") الرقيب الرومانيّ بالفرنسيّة عدد 24, 15 حزيران 1993, ص3.

[[2]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref2" \o ") فرح وأمل عدد 48/1.

[[3]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref3" \o ") تك 1/27 – 28.

[[4]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref4" \o ") تك 2/7.

[[5]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref5" \o ") تك 2/21 – 22 و24.

[[6]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref6" \o ") وثيقة الخطوط العريضة للمجمع الراعويّ من أجل لبنان عدد 47.

[[7]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref7" \o ") نور الأمم عدد 41.

[[8]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref8" \o ") المرجع عينه.

[[9]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref9" \o ") متّى 19/6.

[[10]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref10" \o ") وثيقة الخطوط العريضة عدد 47.

[[11]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref11" \o ") إرشاد رسوليّ للبابا يوحنّا بولس الثاني, في وظائف العائلة المسيحيّة وفي عالم اليوم عدد 20.

[[12]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref12" \o ") المرجع عينه عدد 19.

[[13]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref13" \o ") فرح وأمل عدد 50/1.

[[14]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref14" \o ") المرجع عينه عدد 50/2.

[[15]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref15" \o ") المرجع عينه عدد 50/3.

[[16]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref16" \o ") إرشاد رسوليّ: في وظائف العيلة المسيحيّة عدد 36.

[[17]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref17" \o ") نشر الإنجيل وتطوير الثقافات للأب هرفه كاريه ص 93.

[[18]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref18" \o ") فرح وأمل عدد 88/1.

[[19]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref19" \o ") رسالة عامّة للبابا يوحنّا بولس الثاني: سنة المائة, عدد 51.

[[20]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref20" \o ") فرح وأمل عدد 48/2.

[[21]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref21" \o ") مجلّة التوثيق الكاثوليكيّ عدد 2066 ص165 عدد 22.

[[22]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref22" \o ") تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة عدد 1642.

[[23]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref23" \o ") نشاط الكنيسة الرسوليّ عدد 27.

[[24]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref24" \o ") نشر الإنجيل وتطوير الثقافات للأب هرفه كاريه ص 60.

[[25]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref25" \o ") نشاط الكنيسة الرسوليّ عدد 14.

[[26]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref26" \o ") سنة المائة عدد 43.

[[27]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref27" \o ") يوحنّا 2/1 – 11.

[[28]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref28" \o ") مجلّة التوثيق الكاثوليكيّ عدد 2066 ص 162 عدد 5.

[[29]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref29" \o ") 1كو 10/24 و33 و11/1.

[[30]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref30" \o ") مجلّة التوثيق الكاثوليكيّ عدد 2066 ص 163 عدد 11.

[[31]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref31" \o ") المرجع عينه عدد 17.

[[32]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref32" \o ") نشر الإنجيل وتطوير الثقافات للأب هرفه كاريه ص 47 – 50.

[[33]](http://hobwahayat.com/index2.php?sscid=114" \l "_ftnref33" \o ") رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني: وهج الحقيقة عدد 58.